مقاصد الأفعال الكلاميّة الاخبارية في آيات الإرادة والمشيئة في الخطاب القرآني

مصطفى أحمد عبيد العرداويّ
جامعة الكوفة ـ كليّة الآداب – قسم اللغة العربية
ma5780594@gmail.com

أ. د. خالد توفيق مزعل الحسناويّ
جامعة الكوفة ـ كليّة الآداب – قسم اللغة العربية
khalid.alhasnawi@uokufa.edu.iq

The intentions of the news verbs in the verses of the will of the will in the Qur'anic discourse

Mustafa Ahmed Obaid Al-Ardawy
University of Kufa- College of Arts Department of Arabic Languge

Prof. Dr. Khalid Tawfeeqh Al-Hisnawy
University of Kufa- College of Arts Department of Arabic Languge

ملخّص:

تعدُّ الأفعال الكلاميّة فرعاً من فروع النظريات التداولية، وبدورهِ عمد الباحثُ إلى دراسةٍ نوعٍ خاص من هذه الأفعال هو (الأفعال الكلاميةً الاخبارية) في الخطاب القرآني ولا سيما في آيات الإرادة والمشيئة؛ إذ انمازت هذه الآيات بتعدد المقاصد الخفيّة، فكان حريّاً بالباحث الوقوف على مقاصد الخطاب في ضوء اختلاف شخصية المنجز أو وحدتها واختلاف سياقات الانجاز وموضوعاته من آية إلى أخرى.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية ، الافعال الكلامية الاخبارية ، الغرض الإنجازي ، الإرادة ، المشيئة ، الخطاب القرآني ، الاخباريات ، الشواهد القرآنية ، المشيئة الضمنية ، الإرادة الضمنية.

Abstract:

Speech verbs are considered a branch of deliberative theories, and in turn the researcher deliberately studied a special type of these verbs (informative speech verbs)in the Qur'anic discourse, especially in the verses of will and will; As these verses are characterized by the multiplicity of hidden intents, it was necessary for the researcher to identify the objectives of the discourse in the light of the difference in the personality of the performer or its unity and the different contexts of achievement and its themes from one verse to another.

Key words : Speech verbs, news verbs, achievement purpose, will, will, Quranic discourse, news, Quranic evidence, implicit will, implicit will.

مقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد :

فالخطاب القرآني خطابٌ معجزٌ صادرٌ عن الذات الإلهية على لسان رسوله الكريم أعجز الخصوم من أن يأتوا بآيةٍ من مثله فصار معجزةً خالدةً ، وبات معيناً لا ينضب يرتوي منه الدارسون.

وتأسيساً على هذا عمد الباحث إلى القرآن وتأمل في آياته فاستوقفته مقاصدها الخفية فبدت له تجليات الأفعال الكلامية الاخبارية في آيات الإرادة المشيئة، ومن هنا كان حريًّا بالباحث أن يقف على هذه الآيات من أجل الوصول إلى التنازع المفهومي والاستعمالي للإرادة والمشيئة واتخاذ الدراسة التداولية سبيلاً إلى بيان ذلك عن طريق الوقوف على مقاصد الخطاب في آيات الإرادة المشيئة في ضوء اختلاف شخصية المنجز أو وحدتها واختلاف سياقات الانجاز وموضوعاته من آيةٍ لأخرى ومن موضوعٍ إلى موضوعٍ آخر ، وكان المنهج الذي اتبعه الباحث لدراسة الموضوع هو المنهج التحليلي ، وكان حريّاً بالباحث أن يلتمس أدواته التطبيقية من النظريات التداولية، مستعيناً بكتب التفاسير القرآني .

مقاصد االفعل الكلامية في آيات الإرادة والمشيئة في الخطاب القرآني

احتوى الخطاب القرآني على آياتٍ متنوعةٍ ذات وظائفَ ومقاصدَ مختلفة ، و بنى تحتوي على أسرارٍ ومقاصد لابد لنا من التدبر والتفكر في معانيها ومقاصدها و(آيات الإرادة و المشيئة) من أهم هذه النصوص التي لابد من الوقوف على المقاصد التي تنجزها الأفعال الكلامية فيها.

الأفعال الكلامية الاخبارية: - عرّفَ جون سيرل هذه الأفعال الانجازية بأنها((التعهد للمستمع بحقيقة الخبر . فهي ان تقدم الخبر بوصفهِ تمثيلاً لحالة موجودة في العالم . ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات وتنضوي جميع الإثباتات على اتجاه ملاءمة الكلمة الى العالم)) .[١]

أما الغرض الإنجازي لهذه الأفعال فيتمثل في نقل الواقع نقلاً دقيقاً فيه درجة عالية من الأمانة، فإذا تحققت الأمانة في النقل تحقق الشرط المهم في هذه الأفعال الا وهو شرط الاخلاص ، وإذا تحقق شرط الاخلاص نجحت العملية الانجازية .[٢]

ويرى أحد الدارسين ان هذا النوع من الأفعال يتعلق بإعتقادات المتكلم وقناعته، إذ إن المتكلم يحاول اثبات ما يعتقده ، ولهذا السبب أطلق بعض الباحثين على هذا النوع من الأفعال مصطلح الأفعال الاثباتية. [٣]

ومن الأمثلة القرآنية على هذا النوع من الأفعال الكلامية الانجازية ما جاء في إحدى آيات الإرادة ، يقول جلّ وعلا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٤]

ينطوي هذا النص على تعارض بين إرادتهم ومشيئة الله تعالى ؛ فثمة صراع يسعى إلى إثبات مشيئة الله وأنّها الغالبة , فالمشيئة في هذه الآية تمخضت عن فعل كلاميّ غير مباشر من نوع (

الاخباريات) فقد جاء في كتاب (إعراب القرآن وبيانه) ان هذه الآية المباركة عبارة عن ((جملة حالية لتمثيل حالهم في محاولتهم أن يبطلوا نبوة محمد بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نورٍ عظيم)) .[٥] , فنجد أن الله - جلّ وعلا- قد أثبت بهذا الفعل الإنجازي حقيقةً لا مناص منها وهي ان نور الله سيبقى تامًّا كاملاً مهما حاول الكافرون أن يفعلوا لكي تنطفىء هذه الشعلة العظيمة , ولكن الله يأبى إلا أن تبقى متقدةً يجتمع حولها العالم بأسره , ويرى الزمخشري (٥٣٨ه) في تفسيره هذه الآية , أن الله تعالى يُشبّه حال الذين كفروا ((بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق , يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق والإضاءة)) . [٦]

فالنور هنا هو سبيل الهداية وقد يصدق على القرآن الكريم فهو كلام الله الذي صدر عنه , فقابلوه بالضدِّ تكذيباً بأفواههم ، فبقاء نور الله أمرٌ ثابتٌ بالمشيئةِ الإلهيةِ اذ نجد ((القول جاء مطابقاً للوقائعِ ، وهذا عينُ صنف الكلام التقريري، وبمعايير" سيرل " نجد (الخبر) مندرجاً ضمن صنف التقريرات والغرض المتضمن في القول لهذه المجموعة الكلامية ((التقرير)) , أو إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به)) .[٧] , ويلحظ الباحث إنَّ إرادتهم عاجزة أمام مشيئة الله عزَّ وجلَّ ,لا تغني ولا تنفع ؛ لأنَّ المشيئة الإلهيّة الضمنيّة التي تظهر في الفعل (يأبى) المسند إلى الله تبارك وتعالى اكثر قوّةً وتأثيراً وانجازاً من إرادتهم القاصرة .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٨] فالمشيئة الإلهية في هذه الآية الكريمة تمخضت عن فعل كلاميٍّ إنجازي من نوع (الاخباريات) , وقد جاء في سياق بنيةِ شرطيةِ افتراضية , إذ يظهر ذلك واضحاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ , فيرى الشيخ الطوسي (٤٦٠ه) في تبيانه لمقاصد هذه الآية العظيمة والسبب وراء تخصيص الله تعالى للسمع والبصر ((إنّما خص الله تعالى ذكر السمع والبصر , انه لو شاء , لذهب بهما دون سائر أعضائهم , لما جرى من ذكرهما في الآيتين من قوله : (يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت), وفي قوله : (يخطف أبصارهم) فلما جرى ذكرهما على وجه المثل , عقب بذكر ذلك بأنه لوشاء , اذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم)) . [٩] , وبما أنَّ الله تعالى قدير على كل شيء ؛ فإن ذلك يعني ان له الأفعال المطلقة , ولما كان كذلك صحّت مشيئته في خلقه لو أنّه شاء بهم أمراً .

فأثبت الله سبحانه وتعالى في هذا النص الكريم قدرته ومشيئته على إهلاك الذين كفروا , لأنه القادر على كل شيء , فنجد هذه القدرة مبالغ فيها , لا تحكمها ضوابط ولا تحدها حدود . [١٠] , فهي المسيطرة على كلّ شيء في هذا الكون , فلا تضاهيها قدرة , ولا تمنعها إرادة .

ومن الشواهد القرآنية على هذا النوع من الأفعال الكلامية الإنجازية قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١١]

فالذي يعنينا في هذه الآية المباركة قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾, فالإرادة هنا تمخضت عن فعل إنجازيّ من

نوع (الإخباريات) وقد انجز الاخبار تعليلاً لما سبق من تشريع , ذلك بأنَّ الله تعالى جاء بجملتي ((إثبات ونفي لأن المقصود ابتداءً هو جملة الإثبات لتكون تعليلاً للرخصة , وجاء بعدها جملة النفي تأكيداً لها , ويجوز أن يكون قوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ تعليلاً لجميع ما تقدّم ... ,إلى هنا فيكون إيماء إلى أن مشروعية الصيام وإن كانت تلوح في صورة المشقة والعسر فإنّ في طيّاتها من المصالح ما يدل على أَنَّ الله أراد بها اليسر أي تيسير تحصيل رياضة النفس بطريقة سليمة)). [١٢] , ومن ثم فقد تحققت القضيّة التي يسعى الاخبار الى انجازها في هذه الآية متمثلة في إرادة الله التيسير على العباد .

ومن الأمثلة القرآنية على هذا النوع من الأفعال الكلامية قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٣]

فقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نلحظ أنّه ساق الإرادة الإلهيّة في صيغة النفي ثمَّ الاثبات لذا هو من (الإخباريات)، ولعل ما يلفت الإنتباه في بنية الفعل (يريد) – الذي هو الجزء الأهم في المقولة– أنه ينجز عن إرادة غائب

, لا أن يتكلم الله فيه بصيغة الحضور (أريد).

ونلحظ في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أن هذه الجملة القرآنية جاءت على هيأة ((تعليل لرخصة التيمّم، ونفي الإرادة هنا كناية عن نفي الجعل لأن المريد الذي لا غالب له لا يحول دون إرادته عائق)). [١٤]، وهذا يعني أن المقصود ليس نفي الإرادة الالهية؛ بل بيان وجه التخفيف على العباد ازاء الأحكام الواردة قبلاً.

ومن آيات الإرادة التي جاءت لتنجز خبراً قوله تعالى: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾ [١٥]

تسعى هذه الآية الى انجاز الاخبار عن سُنّةٍ من سُنن الله تعالى في الاختبار قبل وقوع العقاب، فالإرادة الإلهية في هذا الموضع القرآني ((ليست إرادة للتوجيه القهري الذي ينشىء السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب. الأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به. والأمر ليس أمراً توجيهياً إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق)) . [١٦]

أي إنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلك قريةً بسبب استحقاق المترفين من أهلها الإهلاك المُعجّل, لما في نفوسهم من غلٍّ وكفرٍ ورغبة في الفسق والفجور , فإنّه – جلّت قدرته – لا يُعجّل بإهلاكهم لمجرد ما تنطوي عليه نفوسهم من شرٍّ , بل لا بدَّ من إدانتهم بأعمالٍ ماديةٍ يعملونها يظهر فيها ما في نفوسهم

من شرٍّ , لذلك فإنّ الله يبعث فيهم رُسلاً تأمر المترفين منهم بالعمل الصالح والابتعاد عن المعاصي , ويكون عامتهم داخلين في عموم الأمر , فيكون فسق المترفين سبيلاً إلى اضلال العوام من السواد

الأعظم ؛ فيحق عليهم القول الإلهي بالهلاك والتدمير في الدنيا , ولعذاب الآخرة أعظم [١٧] , فالآية انجزت عن طريق الاخبار كيفية تحقق إرادة الله في العقوبة , وقد انجز الخبر في طيّاته تحذيراً.
ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٨]
في قوله تعالى (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ) انجز فعلاً كلامياً إخبارياً , فهي حكاية حال يخبر الله عمّا فعله والسُبل التي مكّن ليوسف بها , فالله تعالى يخبرنا عن الحادثة أنّها وقعت بتدبيره ومشيئته .
ومن خلال الآية الكريمة نستطيع التفريق بين مشيئتين الأولى المشيئة الإنسانية المنسوبة ليوسف (عليه السلام) والمشيئة الأخرى هي مشيئة الله تعالى وعلى النحو الآتي :

أولا: مشيئة يوسف (عليه السلام).

يرى سيد قطب في تفسيره قوله تعالى: { يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ } انه يتخذ منها المنزل الذي يريد , والمكانة التي يريد , والمكان الذي يريد جزاء له للمصاعب التي عاشها من رميه بالجب وبيعه بسوق
الرقيق , فضلاً عن ذلك رميه بالسجن , فكل هذه المصاعب والأحداث العصيبة التي مرّت على النبيّ يوسف (عليه السلام) كانت كفيلةً بأن يرحمه الله تعالى , ويبدله العُسر باليُسر , والخوف بالأمان ,
والضيق بالفرج , والسجن بالحريّة , ومن العبودية الى العزّة والكرامة . [١٩]
ويرى الطوسي (ت٤٦٠ه) ((أن تكون المشيئة أسندت إليه , وهي ليوسف , لما كانت بأمره و إرادته كما قال ((وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)) فأضاف الرمي إلى الله , لما كان بقدرته وإرادته)) . [٢٠] وهذا ما يثبت ان الله تعالى كان قصده من وراء الاخبار عن مشيئته أن يبيّن بأنه هو من مكّن ليوسف وليس عن طريق الملك .

ثانياً: مشيئة الله تعالى .

يرى الطباطبائي في تفسيره أنَّ الله سبحانه وتعالى ((إذا شاء أن يصيب برحمته أحداً لم يغلب في مشيئته ولا يسع لأي مانع مفروض أن يمنع من إصابته . ولو وسع لسبب أن يبطل مشيئة الله في أحد لوسع في يوسف الذي تعاضدت الأسباب القاطعة وتظاهرت لخفضه فرفعه الله ولإذلاله فأعزه الله , إن الحكم إلا لله)) . [٢١]
ويرى الباحث ان فعل المشيئة المنسوب ليوسف عليه السلام ما هو إلا مشيئة فرعية مكتسبة من المشيئة الرئيسة التي تكمن في المشيئة الإلهية , وقد منَّ الله تعالى بها على يوسف (عليه السلام) , كالذي يخبر عن أمر قد صنعه فكان شاهده معه ؛ ليبين بالدليل القاطع ان الله - جلّت قدرته – إذا أراد أن يرفع أحداً يرفعه على الرغم من كل المصاعب والأحداث , فالله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن النماذج على الافعال الانجازية الاخبارية التي وردت في آيات الإرادة والمشيئة قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ﴾ (٢٢)

أحتوت هاتان الآيتان على فعلين كلاميين من نوع (الإخباريات) ؛ إذ تولّدا عن المشيئة الإلهية , ففي قوله : ﴿ وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾ فعل كلاميّ إخباري بصورةٍ مباشرةٍ يحمل في طيّاته مشيئة ضمنية ويتمثل في قوله : (وَقَضَيْنا) , إذ يرى الطوسي ان فعل (القضاء) في هذا الموضع جاء بمعنى الإخبار اي: ((اخبرناهم واعلمناهم بما يكون من الأمر المذكور , من انهم سيفسدون في الأرض مرتين , ويعلون علوًا كبيرًا , أي عظيمًا أي يتجبرون على عباد الله ... والآية تدل على ان قضاء الله بالمعاصي هو اخباره انها تكون)) .(٢٣)

ويرى الزمخشري أنّ مقاصد قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾ هي أوحينا إليهم وحياً مقضياً أي : مقطوعاً مثبوتاً بأنهم لا محالة يفسدون في الأرض ويعلون أي أنهم يتعظمون ويبغون في التوراة (٢٤)

اما قوله تعالى : ﴿ فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً ﴾ فنستلزم منه مشيئة إلهية ضمنية فهذه الآية منجزة في بنية شرطية . فهي وإن كانت وعداً والوعد في الالتزاميات من الافعال الكلامية ؛ فإن هذا الحدث أُنجز ووقع وانقضى في زمن الديانة اليهودية , ثم جاء القرآن ليخبر عن وعد الله لهم حينذاك , فالله سبحانه وتعالى يخبرنا ان بني إسرائيل قد علوا في الأرض المقدسة , وأصبح لهم فيها قوة وسلطان , فأفسدوا فيها , فتحققت المشيئة الإلهية ؛ إذ بعث الله عليهم عباداً من عباده أولي بأسٍ شديدٍ , وبطشٍ وقوةٍ , دمّروا ما كان مفترى من جهة اليهود .(٢٥)

ويرى الباحث إنَّ ثمة قوة في فعل الاخبار انجزت التحذير للمتلقي من السير على منوال بني اسرائيل الذي افضى إلى غضب الله عليهم ومعاقبتهم من قبل . ومن

النماذج القرآنية على الأفعال الإنجازية الإخبارية قوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً (٣) ﴾ (٢٦)

في الآية المباركة إرادة إلهية ضمنية وردت في سياق فعلٍ كلاميٍّ إخباري بني على النفي في قوله :

﴿ مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ , فالله - سبحانه وتعالى - بإرادته ومشيئته قد تعالى على جميع مخلوقاته بوحدانيته وهو ما ينجز اتخاذ الزوجة والولد , فالله تعالى لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ؛ ((لأن اتخاذ الصاحبة للافتقار إليها لأنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها , وكل ذلك من آثار الإحتياج , والله تعالى الغني المطلق , وتعالِي جَدّه بغناه المطلق , والولد يرغب للاستعانه والأنس به , مع ما يقتضيه من انفصاله من أجزاء والديه وكل ذلك من الافتقار والانتقاص)).(٢٧) , فكان القصد الاخبار عن وحدانيته على لسان الجن من عباده ؛ وفي هذا تأكيد وإثبات لما ورد في القرآن من اثبات مبدأ الوحدانية لله تعالى.(٢٨)

وفي ضوء ما تقدّم نستنتج أن الخطاب القرآني ولا سيما في (آيات الإرادة والمشيئة) قد حملت في طيّاتها أفعالاً كلاميةً إخباريةً بصورها المباشرة وغير المباشرة , وقد أنجزت هذه الأفعال وظيفتها التداولية الإنجازية .

وقد لحظ الباحث أنّ ثمة آيات قرآنية حملت في طيّاتها معنى الإرادة والمشيئة ضمناً ,ومن الإحصاء الذي أجراه الباحث تقصياً لهذا النمط من الأفعال الكلامية وجد انها تطرد وبصورة كثيرة في الخطاب القرآني ولا سيما في الآيات التي تحتوي على الأفعال ((وأنجينا – وآتينا – وضربنا – وقطعنا – وسخرنا – وأنزلنا – وجعلنا – ووهبنا – ورزقنا – وحملنا – وكتبنا – سقناه - أحيينا)) , إذ إنَّ الحدث الكلامي فيها يحمل في طيّاته إرادة أو مشيئة ضمنية اقتضى انجازها استعمال ضمير الجمع (نا) العائد على الله تعالى ؛ بياناً لقدرته المطلقة في هذا الصنف من الأفعال , وهي قدرة تناسب إرادته ومشيئته, وقد وقد اقتصر الباحث على بعضها ؛ لكثرتها , وتشابهها في التحليل .

ويبدو لي أنّ كثرة هذا الملحظ في الخطاب القرآني بصورةٍ عامّة وفي آيات الإرادة والمشيئة بصورةٍ خاصّة ولاسيما في (الأفعال الكلامية الاخبارية) يراد به بيان عظمة الإرادة الإلهية التي تعلو على جميع النواميس الكونية , فالله تعالى هو القادر الوحيد والمسيطر على هذه الخلائق فلولا إرادته ومشيئته لهلك من في الكون جميعاً هذا من ناحية , ومن ناحيةٍ أخرى أن في هذه الكثرة فوائد وعِبرة للخلائق لكي يتدبروا في آيات الله تعالى ويرجعوا إلى جادة الصواب .

الخاتمة

بعد أن تقصّى الباحث جزئيات الموضوع خَلُصَ إلى مجموعةٍ من النتائج على النحو الآتي :

أولاً: لحظ الباحثُ أنَّ ثمة آيات حملت معنى الإرادة والمشيئة ضمناً ، وهذا الأمر يطّردُ كثيراً في الخطاب القرآني ولاسيما في الآيات التي تحتوي على الأفعال(وأنجينا ، وآتينا ، وضربنا ، وقطعنا ، وسخّرنا ، وأنزلنا ، وجعلنا ، ووهبنا ، ورزقنا ، سقناه ، أحيينا ...)) فهذه الأفعال تحمل في طياتها معنى الإرادة والمشيئة ضمناً .

ثانياً: إنَّ الإرادة والمشيئة الضمنية تتجلّى - غالباً – في سياقات الحوار القرآني.

ثالثاً: إنَّ فعل المشيئة المنسوب للإنبياء والعباد الصالحين ما هو إلا مشيئة فرعية مكتسبة من المشيئة الرئيسة التي تكمن في المشيئة الإلهيّة على أساس مبدأ الخلافة في الأرض.

رابعاً: المشيئة الإلهية واقعة لا محالة على النقيض تماماً من المشيئةِ البشريّة التي لا يمكن لها أن تحدث دون المشيئة الإلهية ولعل ذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَما تَشاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]

خامساً: إنَّ المشيئة هي النتيجة لنفاذ فعل الإرادة، ويظهر هذا الأمر في المشيئة الضمنية التي تظهر في الأفعال القرآنية (آتينا، جعلنا، ضربنا ...) فصيغة هذه الأفعال تنجز بالزمن الماضي وهذا الأمر يدل على تحقق حدث الفعل.

الهوامش

(١) العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، : ٢١٧.
(٢) ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ١٠٣.
(٣) ظ: أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، حانو نور الهدى، ص: ٤٦.
(٤): التوبة : ٣٢ .
(٥) اعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش \ ٤ \ ٩٠ .
(٦) الكشّاف ,الزمخشري , ٢ \ ٢٦٥.
(٧) الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي , مؤيد آل صوينت : ١٠٣.
(٨) البقرة : ٢٠ .
(٩) التبيان في تفسير القرآن , الطوسي \ ١\ ٩٧.
(١٠) ظ : م . ن : ٧٩ .
(١١) البقرة : ١٨٥ .
(١٢) التحرير والتنوير, ابن عاشور , ٢ \ ١٧٣.
(١٣) المائدة : ٦ .
(١٤) التحرير والتنوير, ابن عاشور , ٥ \ ٥٢.
(١٥) الإسراء : ١٦
(١٦) في ظلال القرآن , سيد قطب \ ٥\ ١٥\ ٢١.
(١٧) ظ : ابتلاء الإرادة بالإيمان والاسلام والعبادة , عبد الرحمن حسن الميداني : ٦٠-٦١.
(١٨) يوسف : ٥٦ .
(١٩) ظ : في ظلال القرآن , سيد قطب \١٣\٥\ ٢٥ .
(٢٠) تفسير البيان ,الطوسي , تح : أحمد حبيب قصير العاملي \١٢\ ١٥٧.
(٢١) الميزان في تفسير القران , محمد حسين الطباطبائي \ ١١\ ٢٠٥.
(٢٢) الإسراء : ٤- ٥ .
(٢٣) التبيان في تفسير القرآن , الطوسي \ ٦ \ ٤٤٨.
(٢٤) ظ : الكشاف , الزمخشري \ ١٥ \ ٥٩٠ .
(٢٥) ظ : في ظلال القرآن , سيد قطب \ ١٥ \ ٢٢١٣.
(٢٦) الجن : ٣ .
(٢٧) التحرير والتنوير, الطاهر بن عاشور \ ٢٩ \ ٢٢٢.
(٢٨) ظ: الانساق الأسلوبية المهيمنة على السور القرآنية دراسة تطبيقية على السور المكية (أطروحة دكتوراه)، خالد توفيق مزعل: ١٩٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابتلاء الإرادة بالإيمان والاسلام والعبادة ، عبد الرحمن حسن الميداني ، دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى، لسنة ١٤١٦ه - ١٩٩٥م .
- اعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص- سوريا ، الطبعة الرابعة ، لسنة ١٤١٥ه .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر , محمود أحمد نحلة , دار المعرفة الجامعية , الطبعة الأولى , لسنة ٢٠٠٢م .
- أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية (رسالة ماجستير)، حانو نور الهدى ، بأشراف: عاشور الزهراء ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في جامعة بن مهيدي أم البواقي ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي- الجزائر ، لسنة ١٤٣٩ه - ٢٠١٨م .
- الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السور القرآنية دراسة تطبيقية على السور المكية (اطروحة دكتوراه)، خالد توفيق مزعل الحسناوي، بإشراف: سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، لسنة(١٤٣٣ه - ٢٠١٢م) .
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠ه) ، قدم له : الشيخ آغا بزرك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، دون رقم طبعة، دون سنة الطبع.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي ، مؤيد آل صوينت ، مكتبة الحضارات ، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، لسنة ١٤٣١ه - ٢٠١٠م .
- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل ، ترجمة : سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى لسنة ٢٠٠٦م .
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون، لسنة ١٤٢٣ه - ٢٠٠٣م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، وعليه تعليقات كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، ناصر الدين بن منير المالكي ، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ، لسنة ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م .
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم ، دون رقم طبعة ، دون سنة الطبع.